****

****

**أخلاق الجاهلية**

**كما صورها القرآن الكريم**

**﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ - حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ - تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ - حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾**

**محمد عبدالرحمن صادق**

## المقدمة

من يدقق النظر في آيات القرآن الكريم يجد أن الله تعالى قد أضاف لفظ (الجاهلية) إلى أربع كلمات نذكرها حسب ما وردت في القرآن الكريم.

﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ - حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ - تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ - حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾

- ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾: يؤدي إلى فساد القلوب وقطع العلاقات وتفكك أواصر المجتمع.

- ﴿ حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾: يؤدي إلى ترك الاحتكام إلى ما حكم الله تعالى وشرع إلى الاحتكام إلى أحكام قوانين ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، فيتحول المجتمع إلا شراذم وطبقات تأكل بعضها بعضاً.

- ﴿ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾: يؤدي إلى انتشار الرذيلة وفساد الأخلاق وضعف بنيان المجتمع.

- ﴿ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾: تؤدي إلى العصبية والطائفية والتشرذم وتناحر المجتمع.

وهذه الأربع ما اجتمعت في أمة إلا أدَّت إلى ذلها وشتاتها وهلاكها وبقدر وجود الصفة من الصفات الأربع في المجتمع بقدر ذله وشتاته وهلاكه .

ومن المعلوم أن أعداء الأمة يدركون ذلك جيداً فيأتون الأمة من قِبل ما نهى الله تعالى عنه لكي يصيبونها في مقتل ولا تقوم لها قائمة.

فإذا أردنا ما عند الله تعالى - وما عند الله خير وأبقى - وإذا أردنا خيري الدنيا والآخرة، فما علينا إلا أن نتجه كلية لكتاب الله تعالى هذا المعين الصافي الرقراق ننهل منه ما ينظم حياتنا فهو نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً.

اللهم ردنا إليك رداً جميلا وخذ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك

محمد عبدالرحمن صادق

## الإهداء

- إلى روح والديَّ داعياً المولى عز وجل أن يكون ذلك عِلماً يُنتفع به وأن يُثقل الله تعالى به ميزانهم وأن يجعله من برهما بعد مماتهما.

- إلى زوجتي الغالية أمدها الله تعالى بالصحة وتمام الإيمان.

- إلى أبنائي الأعزاء عسى الله تعالى أن يعينهم على التخلق بأحسن الأخلاق وأن يجعلهم لنا ذخراً.

- إلى رفقاء الدرب المخلصين وإلى الدعاة العاملين داعياً الله تعالى أن ينفع بهم وأن يفتح لهم قلوب العباد وأن يُصلح على أيديهم شئون البلاد.

## الخلق الأول: ظن الجاهلية

- قال تعالى: " يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ " ( آل عمران من الآية 154).

إن الظن منه الحسن ومنه السيء. فالظن الحسن يُستخدم بمعنى ( اليقين - الاعتقاد الجازم ) مثل قوله تعالى: " وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ {45} الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ {46} " ( البقرة 45 – 46 ).

- وبالظن الحسن تنجلي الغشاوة وتتضح الأمور ويستقيم الطريق وتعرف الحقائق وتبلغ الغايات.

أما الظن السيء فيستخدم بمعنى (التكذيب والإنكار) مثل قوله تعالى: " وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ {24} " (الجاثية 24).

- وبالظن السيء تفسد القلوب والعقائد وتتقطع الأواصر والعلاقات فيصبح المجتمع هشاً ضعيفاً تعصف به الظنون.

ولذلك يقال: " ظنُّ العاقل خير من يقين الجاهل " لأن ظن العاقل يكون للتروي وترجيح أفضل الخيرين أو أقل الضررين أما ظن الجاهل غالباً ما يكون للأسوء.

وبخصوص كلمة الجاهلية فهي من الكلمات التي تعافها النفس السوية، فعند ذكرها تتوارد إلى الذهن صوراً بشعة تتمثل في غياب الاحتكام لشرع أو الاعتراف بإله وما يترتب على ذلك من ضيق الأفق وقلة الفهم وسوء التصرف والرعونة والجلافة إلى غير ذلك من الصور المنفرة والسلوكيات غير المسئولة.

أولاً: مفهوم الجهل: جاء في المعجم الوسيط: الجَهْلُ: ( في اصطلاح أَهل الكلام ): اعتِقاد الشيء على خلافِ ما هو علَيه. الجَهْلُ البَسِيطُ: عَدَمُ الْمَعْرِفَةِ بِالشَّيْءِ. الجَهْلُ الْمُرَكَّبُ: الاِعْتِقَادُ الجَازِمُ بِمَا لاَ يَتَّفِقُ مَعَ الحَقِيقَةِ، إِذْ يَعْتَقِدُ الرَّجُلُ عَاِرفاً عِلْماً وَهُوَ عَكْسُ ذَلِكَ. والجَهْلُ البسيط: تعبيرٌ أُطلِقَ على من يُسَلِّم بجهله. والجَهْلُ المرَكَّب: تعبيرٌ أُطلِقَ على من لا يسلِّم بجهله، ويدَّعى ما لا يعلم.

- الجهل يكون على ثلاثة أوجه: الأول: وهو خلو النفس من العلم. والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه. والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً.

- والجهل منه الجهل العام أو الشامل ( المُطبِق ) ومنه الجهل الخاص وهو الذي يتعلق بجانب من جوانب الشيء. فالأول مذموم لصعوبة تداركه والآخر غير مذموم لإمكانية تداركه أو لإمكانية تحقيق الماد بدونه.

ثانياً: مفهوم الجاهلية: الجاهلية هي ما كان عليه العرب قبل الإسلام من الجهالة والضَّلالة وتحكيم العصبيّة والوثنيّة وعدم الانقياد لدين يضبط سلوكهم أو ينظم حياتهم.

- والجاهِلِيَّة تطلق أيضاً على الفَتْرة بين رسوليْن.

- ويقال أيضاً: جاهليّةٌ جَهْلاء: أي: مُمعنة في الجهالة والضلال.

- وقد أكـد ابن منظور رحمه الله: أنَّ الجاهلية هي الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسـوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك ".

- ويرى الدكتور شوقي ضيف رحمه الله: أنَّ كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، وإنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنـزق، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جل وعز، وما ينطوي فيها من سلوك خلقي كريم.

- وجاء في تفسير( في ظلال القرآن ) للأستاذ سيد قطب رحمه الله: فالجاهلية كما يصفها الله ويحدد قرآنه هي حكم البشر للبشر لأنها هي عبودية البشر للبشر والخروج من عبودية الله ورفض ألوهية الله والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله.

- ثم يقول - رحمه الله - أيضاً: إن الجاهلية ليست فترة من الزمان ولكنها وضع من الأوضاع هذا الوضع يوجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غداً، فيأخذ صفة الجاهلية المقابلة للإسلام، والمناقضة للإسلام... فالعبودية لغير الله جرت أهـل الجاهلية إلى كل الضلالات السابقة وتحكيم الأهواء والعادات والتقاليد.

- يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: والجاهلية هي نسبة إلى جاهل. ولو كانت نسبة مأخوذة من الجهل لجاء القول (جهلية)، لكن الحق يقول هنا: (جاهلية) نسبة إلى جاهل... والجاهل يختلف عن الأمي، فالأمي هو الذي لا يعرف، أما الجاهل فهو الذي يعرف قضية مخالفة للواقع ومتشبث بها.

ثالثاً: بعض الآيات التي تحدثت عن الجهل والجاهلية في القرآن الكريم: لفداحة هذه الصفة ذكرها الله تعالى في الكثير من آيات القرآن الكريم للتحذير منها أو للتحذير ممن يتصفون بهذه الصفة بدرجاتها المتفاوتة.

1- قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ {67} " ( البقرة 67 ).

2- قال تعالى: " لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ {273} " ( البقرة 273 ).

3- قال تعالى: " يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ " ( آل عمران من الآية 154 ).

4- قال تعالى: " أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ {50} " ( المائدة 50 ).

5- قال تعالى: ".... وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ {35} " ( الأنعام 35 ).

6- قال تعالى: " وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ {111} " ( الأنعام 111 ).

7- قال تعالى: " وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {138} " ( الأعراف 138 ).

8- قال تعالى: " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ {199} " ( الأعراف 199 ).

9- قال تعالى: " وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَـكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ {29} " ( هود 29 ).

10- قال تعالى: " قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ {46} " ( هود 46 ).

11- قال تعالى: " قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ {33} " ( يوسف 33 ).

12- قال تعالى: " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً {63} " ( الفرقان 63 ).

13- قال تعالى: " وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ {54} أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {55}‏ " ( النمل 54 – 55 ).

14- قال تعالى: " وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ {55} " ( القصص 55 ).

15- قال تعالى: " وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...... {33} " ( الأحزاب 33 ).

16- قال تعالى: " قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ {64} " ( الزمر 64 ).

17- قال تعالى: " قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ {23} " ( الأحقاف 23 ).

18- قال تعالى: " إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً {26} " ( الفتح 26 ).

- في هذه الآيات المباركات نرى أن الله تعالى قد وصف أقواماً بالجهل ووصف أفعالاً بالجهل وكذلك وصف أحوالاً بالجهل مع تفاوت درجة الصفة حسب فاعلها أو حسب أثرها، فلا يتساوى الجاهل في حق الله تعالى مع الجاهل في حق العباد أو مع الجاهل في حق نفسه.

رابعاً: ظن الجاهلية: إن ظن الجاهلية - كما ورد في القرآن الكريم - أطلق على المنافقين الذين لا يعرفون قدر الله تعالى وعظمته وبالتالي هم يظنون بالله تعالى الظنون الكاذبة التي لا تليق بحكمته ولا بصادق وعده سبحانه وتعالى فظنوا بأنه سبحانه لا ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يُظهِر دينه.

- قال تعالى: " وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ " ( آل عمران من الآية 154 ).

- يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: إن هذه العقيدة تعلم أصحابها- فيما تعلم- أن ليس لهم في أنفسهم شيء فهم كلهم لله ‏;‏ وأنهم حين يخرجون للجهاد في سبيله يخرجون له ويتحركون له ويقاتلون له بلا هدف آخر لذواتهم في هذا الجهاد وأنهم يُسلمون أنفسهم لقدره فيتلقون ما يأتيهم به هذا القدر في رضى وفي تسليم كائناً هذا القدر ما يكون‏.‏

فأما الذين تهمهم أنفسهم وتصبح محور تفكيرهم وتقديرهم ومحور اهتمامهم وانشغالهم‏.‏‏.‏ فهؤلاء لم تكتمل في نفوسهم حقيقة الإيمان‏.‏ ومن هؤلاء كانت تلك الطائفة الأخرى التي يتحدث عنها القرآن في هذا الموضع‏.‏ طائفة الذين شغلتهم أنفسهم وأهمتهم فهم في قلق وفي أرجحة يحسون أنهم مُضيعون في أمر غير واضح في تصورهم ويرون أنهم دفعوا إلى المعركة دفعاً ولا إرادة لهم فيها‏;‏ وهم مع ذلك يتعرضون للبلاء المرير ويؤدون الثمن فادحاً من القتل والقرح والألم‏.‏‏.‏ وهم لا يعرفون الله على حقيقته فهم يظنون بالله غير الحق كما تظن الجاهلية‏.‏ ومن الظن غير الحق بالله أن يتصوروا أنه- سبحانه- مُضيعهم في هذه المعركة التي ليس لهم من أمرها شيء وإنما دفعوا إليها دفعاً ليموتوا ويجرحوا والله لا ينصرهم ولا ينقذهم ‏;‏ إنما يدعهم فريسة لأعدائهم ويتساءلون ‏:‏ ‏"‏ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ ‏؟ ". وتتضمن قولتهم هذه الاعتراض على خطة القيادة والمعركة‏.‏‏.‏ ولعلهم ممن كان رأيهم عدم الخروج من المدينة ‏;‏ ممن لم يرجعوا مع عبد الله بن أبي‏.‏‏.‏ ولكن قلوبهم لم تكن قد استقرت واطمأنت‏.‏‏.‏ وقبل أن يكمل السياق عرض وساوسهم وظنونهم، يبادر بتصحيح الأمر وتقرير الحقيقة فيما يتساءلون فيه ويرد على قولتهم‏:‏ " هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ ‏؟ ".‏ ‏" قل‏:‏ إن الأمر كله لله‏ "‏‏.‏‏.‏ فلا أمر لأحد‏.‏ لا لهم ولا لغيرهم‏.‏ ومن قبل قال الله لنبيه- صلى الله عليه وسلم- ‏" ليس لك من الأمر شيء‏ "‏‏.‏ فأمر هذا الدين والجهاد لإقامته وتقرير نظامه في الأرض وهداية القلوب له‏.‏‏.‏ كلها من أمر الله وليس للبشر فيها من شيء إلا أن يؤدوا واجبهم ويفوا ببيعتهم ثم يكون ما يشاؤه الله كيف يكون‏!‏

- يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: " هذا القول يدل على أنها طائفة تدور حول حركة واحدة، ويدل على أن النفاق نفاق متفق عليه، وليس كل واحد منهم ينافق في نفسه، لا إنها طائفة المنافقين، وقد كوَّنوا جماعة، ولهم سياسة مخصوصة، ولهم كلام مخصوص ولهم وحدة قول، تعرفهم من قول الحق " وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ".

ونعرف أن الحق هو الشيء الثابت، وما دام ثابتا فهو لا يتغير، وقضية الحق فيه تكون مطردة، فالله حق، خلق السماوات والأرض، وكل الكون بالحق، أنزل كتابه بالحق، كله حق، فهم يظنون بالله غير الحق مع أنه حق، ونشأ الكون منه بقانون حق، واستمرت سنن الله في الكون بالحق، وهو دائما ينصر الحق، وهم يظنون بالله غير الحق، يقولون: ربنا لم ينصرنا على الرغم من أنه وعدنا بالنصر، وتناسوا العناصر التي جعلها الله أسباباً للنصر، إنها سُنَّة الله وسُنَّة الله تتحقق ولو على أحبابه، لقد خالفوا أمر الرسول، فلابد أن ينهزموا، فلا مجاملة لأحد، فالذي يخالف لابد أن يأخذ جزاءه؛ لأن هذا هو الحق.

كان يجب أن يقولوا إن الحق واضح لدرجة أن أحبابه ومعهم رسوله حينما خالفوا عن أمر الله الذي قاله الرسول صلى الله عليه وسلم طبق الله عليهم سُنته إذن فهي سنة بالحق، لكنهم ظنوا بالله ظن الجاهلية، والمقصود به إما ظن أهل الجاهلية؛ وإمَّا أن تكون الجاهلية عَلَماً على السَّفه كله، وهذا الظن له نضح سلوكي.

- جاء في فتح القدير للإمام الشوكاني رحمه الله: قال بن القيم: " فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده ويؤيد حزبه، ويعليهم ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله ".

- قال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط: " هذا الظن كفر وجهل بالله وسوء مُعتقد يؤدي إلى تكذيب الرسل والشك في عِلم الإله ".

خامساً: بعض الآيات التي تحذر من سوء الظن: إن الظن السيء آفة خطيرة لا يجب أن يتحلى بها المسلم لأنه لو ترك لنفسه عنان سوء الظن لفسدت أحواله ولتقطعت علاقاته ونُغِّصت حياته.

1- قال تعالى: " وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ {116} " ( الأنعام 116 ).

2- قال تعالى: " وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ {36} " ( يونس 36 ).

3- قال تعالى: " أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ {66} " ( يونس 66 ).

4- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ {12} " ( الحجرات 12 ).

5- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى {27} وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً {28} " ( النجم 27- 28 ).

سادساً: بعض الأحاديث النبوية التي تحث على الظن الحسن وتحذر من الظن السيء:

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، من أسعَدُ الناسِ بشفاعتِك يومَ القيامةِ؟ فقال: " لقد ظنَنتُ، يا أبا هُرَيرَةَ، أن لا يسألَني عن هذا الحديثِ أحدٌ أولَ منك، لمِا رأيتُ من حِرصِك على الحديثِ، أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، خالصًا من قِبَلِ نفسِه " (رواه البخاري)

2- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما زالَ جِبريلُ يوصيني بالجَارِ، حتَّى ظنَنتُ أنَّهُ سيورِّثُهُ " ( رواه البخاري ).

3- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، قبل وفاتِه بثلاثٍ، يقول: " لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسنُ باللهِ الظنَّ " ( رواه مسلم ).

4- عن واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ اللهَ تعالى يقول: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي إنْ ظنَّ خيرًا فله وإن ظنَّ شرًّا فلَه " ( صححه الألباني ).

5- عن الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله وريحانته رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دع ما يريبك، إلى ما لا يريبك " ( رواه الترمذي ). \

6- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ الأميرَ إذا ابتغى الرِّيبةَ في النَّاسِ أفسَدَهُم " ( صححه الألباني ).

7- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قال: " إذا ظننتم فلا تُحقِّقوا. وإذا حسدتم فلا تَبغُوا. وإذا تطيَّرتم فامضوا ؛ وعلى اللهِ توكَّلوا. وإذا وزنتم فأرجِحوا " (السلسلة الصحيحة).

8- عن أبي عبدالله النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الحلال بينٌ وإن الحرام بينٌ، وبينهما أمور مشتبهاتٌ لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدِينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملكٍ حمًى، ألا وإن حمى الله محارمُه، ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلَحت صلَح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب " ( رواه البخاري ومسلمٌ ).

9- عن أم المؤمنين صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: " كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُعتَكِفًا فأتَيتُه أزورُه ليلًا، فحدَّثتُه ثم قُمتُ فانقَلَبتُ، فقام معي ليَقلِبَني، وكان مَسكنُها في دارِ أسامةَ بنِ زيدٍ، فمرَّ رجلانِ منَ الأنصارِ، فلما رأَيا النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أسرَعا، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: على رِسلِكما، إنها صَفِيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ. فقالا: سُبحانَ اللهِ يا رسولَ اللهِ، قال: إنَّ الشيطانَ يَجري منَ الإنسانِ مَجرى الدمِ، وإني خَشيتُ أن يَقذِفَ في قلوبِكما سُوءًا، أو قال: شيئًا " ( رواه البخاري ).

\* قمت فانقلبت: أي: قامت وهمت بالانصراف. \* فقام معي ليَقلِبَني: أي: قام معها ليصرفها.

10- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إيَّاكُم والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أَكذَبُ الحديثِ، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تَناجَشوا ولا تحاسَدوا ولا تباغَضوا، ولا تدابَروا، وَكونوا عِبادَ اللَّهِ إخوانًا " ( رواه البخاري ).

- قال الصنعاني رحمه الله: المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: " إياكم والظنَّ " سوء الظنِّ به تعالى، وبكلِّ من ظاهره العدالة من المسلمين.

- قال القاضي في " مرقاة المفاتيح ": " التحذير عن الظن فيما يجب فيه القطع، أو التحدث به عند الاستغناء عنه أو عما يظن كذبه ".

- عن سلمان رضي الله عنه قال: إني لأعد العراق ( عظام الذبيحة ) على خادمي مخافة الظن.

- عن أبي العالية قال: كنا نؤمر أن نختم على الخادم، ونكيل، ونعدها، كراهية أن يتعودوا خلق سوء، أو يظن أحدنا ظن سوء.

- قال ابن مسعود رضي الله عنه: " مَا يَزَالُ الْمَسْرُوقُ مِنْهُ يَتَظَنَّى، حَتَّى يَصِيرَ أَعْظَمَ مِنَ السَّارِقِ ".

وذلك لأن الذي يُسرق منه شيء يظل يظن في الناس واحدا بعد الآخر حتى يحصل منه جرم أعظم من السارق نفسه.

- قال سفيان: " الظن ظنان فظن إثم وظن ليس بإثم فأما الظن الذي هو إثم فالذي يظن ظناً ويتكلم به وأما الظن الذي ليس بإثم فالذي يظن ولا يتكلم به ".

11- عن أوسط بن عمرو رضي الله عنه قال: " قدمت المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة فألفيت أبا بكر يخطب الناس فقال: " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الأول فخنقته العبرة ثلاث مرار ثم قال يا أيها الناس سلوا الله المعافاة فإنه لم يؤت أحد مثل يقين بعد معافاة ولا أشد من ريبة بعد كفر وعليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور وهما في النار‏" ( رواه أحمد ).‏

12- عن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب أنه قال يوما ألا أحدثكم عني وعن أمي قال فظننا أنه يريد أمه التي ولدته قال قالت عائشة ألا أحدثكم عني وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا بلى قال، قالت: " لما كانت ليلتي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويدا وانتعل رويدا وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويدا فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال ما لك يا عائش حشيا رابية قالت قلت لا شيء قال لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير قالت قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته قال فأنت السواد الذي رأيت أمامي قلت نعم فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ثم قال أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله قالت مهما يكتم الناس يعلمه الله نعم قال فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت قلت كيف أقول لهم يا رسول الله قال قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون " ( رواه مسلم ).

\* انْقَلَبَ: رَجَعَ مِنْ صَلَاة الْعِشَاء كعادته.

\* أَجَافَهُ: أَغْلَقَهُ بدون ضجة.

\* فأحضرت: الْإِحْضَار هو نوع من الجري فيه سرعة.

\* حَشْيَا: أَيْ مُرْتَفِعَة النَّفْس مُتَوَاتِرَته.

\* رَابِيَةً: مرتفعة البطن.

\* فَلَهَدَنِي: اللَّهْد: الدَّفْعُ الشَّدِيدُ فِي الصَّدْر، وَهَذَا كَانَ تَأدِيبًا لَهَا - من النبي صلى الله عليه وسلم- مِنْ سُوءِ الظَّنِّ.

وختاماً: إن اليقين بالله تعالى وبما وعد به الأنبياء والأولياء لهو حصن حصين وحبل متين وعروة وثقى فاليقين يقي صاحبه من الانزلاق في دركات الظن والريبة والشك الذين هم من أخلاق الجاهلية.

--------------------------------------------------------

اللهم إني أسألك قلباً خاشعاً، وعلماً نافعاً، ويقيناً صادقاً، وديناً قيماً، والعافية من كل بلية.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

## الخلق الثاني: حُكم الجاهلية

- قال تعالى: " وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ {49} أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ {50} " ( المائدة 49 – 50 ).

إن الله تعالى ما أنزل شرعه إلا ليتبع ولينفذ وليكون واقعاً ملموساً في حياة الخلق فتنجلي غشاوتهم وتزول جاهليتهم وينقشع الظلام ويسود النور فتستقيم الأمور وتنضبط جوانب الحياة فينال العباد سعادة الدارين.

ومن يريد أن يُنحي شرع الله تعالى جانباً ويحتكم لشرائع مُتعارضة ومُتضاربة ما أنزل الله بها من سلطان فهو كمن يترك الماء العذب الرقراق ليتجرع الماء الملح الأجاج أو كمن يُعرض عن النور ليتخبط في الظلمات.

أولاً: أقوال بعض المفسرين في قوله تعالى " أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ": إن الاحتكام إلى غير شرع الله تعالى من الأمور المُستهجنة لدى علماء الأمة لأن ذلك يُنذر بتصدع الأمور وبهلاك الأمة مثلما حدث للأمم السابقة. قال تعالى: " فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {40} " (العنكبوت 40).

1- جاء في تفسير الإمام بن كثير رحمه الله: وقوله: " أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ " ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المُحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم اليساق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال الله تعالى: ( أفحكم الجاهلية يبغون ) أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون. ( ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ) أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء.

2- جاء في تفسير الظلال للأستاذ سيد قطب رحمه الله: قوله تعالى: " أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ " يقول:.... ويقف الإنسان أمام هذه النصاعة في التعبير، وهذا الحسم في التقرير، وهذا الاحتياط البالغ لكل ما قد يهجس في الخاطر من مبررات لترك شيء- ولو قليل- من هذه الشريعة في بعض الملابسات والظروف‏.‏‏.‏ يقف الإنسان أمام هذا كله، فيعجب كيف ساغ لمسلم- يدعي الإسلام- أن يترك شريعة الله كلها، بدعوى الملابسات والظروف‏!‏ وكيف ساغ له أن يظل يدعي الإسلام بعد هذا الترك الكلي لشريعة الله‏!‏ وكيف لا يزال الناس يسمون أنفسهم "مسلمين" ‏؟‏‏!‏ وقد خلعوا ربقة الإسلام من رقابهم، وهم يخلعون شريعة الله كلها؛ ويرفضون الإقرار له بالإلوهيه، في صورة رفضهم الإقرار بشريعته، وبصلاحية هذه الشريعه في جميع الملابسات والظروف، وبضرورة تطبيقها كلها في جميع الملابسات والظروف‏!‏

- ويقول أيضاً: وقد علم الله أن معاذير كثيره يمكن أن تقوم وأن يبرر بها العدول عن شيء مما أنزل الله واتباع أهواء المحكومين المتحاكمين‏.‏‏.‏ وأن هواجس قد تتسرب في ضرورة الحكم بما أنزل الله كله بلا عدول عن شيء فيه، في بعض الملابسات والظروف‏.‏ فحذر الله نبيه- صلى الله عليه وسلم- في هذه الآيات مرتين من اتباع أهواء المتحاكمين، ومن فتنتهم له عن بعض ما أنزل الله إليه‏.‏‏.‏ وأولى هذه الهواجس‏:‏ الرغبة البشرية الخفية في تأليف القلوب بين الطوائف المتعددة، والاتجاهات والعقائد المتجمعة في بلد واحد‏.‏ ومسايرة بعض رغباتهم عندما تصطدم ببعض أحكام الشريعة، والميل إلى التساهل في الأمور الطفيفة، أو التي يبدو أنها ليست من أساسيات الشريعة‏ !‏

- ويضيف قائلاً: بذلك أغلق الله- سبحانه- مداخل الشيطان كلها؛ وبخاصة ما يبدو منها خيراً وتأليفاً للقلوب وتجميعاً للصفوف؛ بالتساهل في شيء من شريعة الله؛ في مقابل إرضاء الجميع‏!‏ أو في مقابل ما يسمونه وحدة الصفوف‏!‏

إن شريعة الله أبقى وأغلى من أن يضحى بجزء منها في مقابل شيء قدر الله ألا يكون‏!‏ فالناس قد خلقوا ولكل منهم استعداد، ولكل منهم مشرب، ولكل منهم منهج، ولكل منهم طريق‏.‏

ولحكمة من حكم الله خلقوا هكذا مختلفين‏.‏ وقد عرض الله عليهم الهدى؛ وتركهم يستبقون‏.‏ وجعل هذا ابتلاء لهم يقوم عليه جزاؤهم يوم يرجعون إليه، وهم إليه راجعون.

- ويقول أيضاً: إن محاولة التساهل في شيء من شريعة الله، لمثل هذا الغرض، تبدو- في ظل هذا النص الصادق الذي يبدو مصداقه في واقع الحياة البشرية في كل ناحية- محاولة سخيفة؛ لا مبرر لها من الواقع؛ ولا سند لها من إرادة الله؛ ولا قبول لها في حس المسلم، الذي لا يحاول إلا تحقيق مشيئة الله‏.‏ فكيف وبعض من يسمون أنفسهم "مسلمين" يقولون‏:‏ إنه لا يجوز تطبيق الشريعة حتى لا نخسر "السائحين"؟‏‏!‏‏!‏‏!‏ أي والله هكذا يقولون‏!‏

وبذلك يغلق كل منافذ الشيطان ومداخله إلى النفس المؤمنة؛ ويأخذ الطريق على كل حجة وكل ذريعة لترك شيء من أحكام هذه الشريعة؛ لغرض من الأغراض؛ في ظرف من الظروف‏.‏‏.‏ ثم يقفهم على مفرق الطريق‏.‏‏.‏ فإنه إما حكم الله، وإما حكم الجاهلية‏.‏ ولا وسط بين الطرفين ولا بديل‏.‏‏.‏ حكم الله يقوم في الأرض، وشريعة الله تنفذ في حياة الناس، ومنهج الله يقود حياة البشر‏.‏‏.‏ أو أنه حكم الجاهلية، وشريعة الهوى، ومنهج العبودية‏.‏‏.‏ فأيهما يريدون‏؟‏ (‏أفحكم الجاهلية يبغون‏؟‏ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون‏؟‏‏) ‏‏.‏‏.‏

إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص‏.‏ فالجاهلية- كما يصفها الله ويحددها قرآنه- هي حكم البشر للبشر، لأنها هي عبودية البشر للبشر، والخروج من عبودية الله، ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله‏.‏‏.‏ إن الجاهلية - في ضوء هذا النص- ليست فترة من الزمان؛ ولكنها وضع من الأوضاع‏.‏ هذا الوضع يوجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غداً، فيأخذ صفة الجاهلية، المقابلة للإسلام، والمناقضة للإسلام ‏.‏ والناس- في أي زمان وفي أي مكان- إما أنهم يحكمون بشريعة الله- دون فتنة عن بعض منها- ويقبلونها ويسلمون بها تسليماً، فهم إذن في دين الله‏.‏ وإما إنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر- في أي صورة من الصور- ويقبلونها فهم إذن في جاهلية؛ وهم في دين من يحكمون بشريعته، وليسوا بحال في دين الله‏.‏ والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية؛ والذي يرفض شريعة الله يقبل شريعة الجاهلية، ويعيش في الجاهلية‏.‏ وهذا مفرق الطريق، يقف الله الناس عليه‏.‏ وهم بعد ذلك بالخيار‏!‏

- ويزيد - رحمه الله - قائلاً: ما الذي يستطيع أن يقوله من ينحي شريعة الله عن حكم الحياة، ويستبدل بها شريعة الجاهلية‏.‏ وحكم الجاهلية؛ ويجعل هواه هو أو هوى شعب من الشعوب، أو هوى جيل من أجيال البشر، فوق حكم الله، وفوق شريعة الله‏؟‏ ما الذي يستطيع أن يقوله‏.‏‏.‏ وبخاصة إذا كان يدعي أنه من المسلمين‏؟‏‏!‏ الظروف‏؟‏ الملابسات‏؟‏ عدم رغبة الناس‏؟‏ الخوف من الأعداء‏؟‏‏.‏‏.‏ ألم يكن هذا كله في علم الله؛ وهو يأمر المسلمين أن يقيموا بينهم شريعته، وأن يسيروا على منهجه، وألا يفتنوا عن بعض ما أنزله‏؟‏ قصور شريعة الله عن استيعاب الحاجات الطارئة، والأوضاع المتجددة، والاحوال المتغلبة‏؟‏ ألم يكن ذلك في علم الله؛ وهو يشدد هذا التشديد، ويحذر هذا التحذير‏؟‏ يستطيع غير المسلم أن يقول ما يشاء‏.‏‏.‏ ولكن المسلم‏.‏‏.‏ أو من يدعون الإسلام‏.‏‏.‏ ما الذي يقولونه من هذا كله، ثم يبقون على شيء من الإسلام‏؟‏ أو يبقى لهم شيء من الإسلام‏؟‏ إنه مفرق الطريق، الذي لا معدى عنده من الاختيار؛ ولا فائدة في المماحكة عنده ولا الجدال‏.‏‏.‏ إما إسلام وإما جاهلية‏.‏ إما إيمان وإما كفر‏.‏ إما حكم الله وإما حكم الجاهلية‏.‏‏

3- قال السعدي رحمه الله في تفسيره: ( أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ) أي: أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى. (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) فالموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز - بإيقانه- ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين - عقلاً وشرعاً- اتباعه. واليقين، هو العلم التام الموجب للعمل.

4- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (الفتاوى): " ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله؛ لا بين المسلمين، ولا الكفار، ولا الفتيان، ولا رماة البندق، ولا الجيش، ولا الفقراء، ولا غير ذلك؛ إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغى غير ذلك؛ تناوله قوله تعالى: " أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ "(المائدة 50)، وقوله تعالى: " فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا " (النساء 65 ) فيجب على المسلمين أن يحكِّموا الله ورسوله في كل ما شجر بينهم.... ".

- ويقول أيضاً:..... فإن الله يقول في كتابه: " وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " " الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " فقد وعد الله بنصر من ينصره ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله ; لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم فإن الحاكم إذا كان دينا لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار وإن كان عالما لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار وإذا حكم بلا عدل ولا علم كان أولى أن يكون من أهل النار. وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص.

وأما إذا حكم حُكماً عاماً في دين المسلمين فجعل الحق باطلاً والباطل حقاً والسنة بدعة والبدعة سنة والمعروف منكراً والمنكر معروفاً ونهى عما أمر الله به ورسوله وأمر بما نهى الله عنه ورسوله: فهذا لون آخر. يحكم فيه رب العالمين وإله المرسلين مالك يوم الدين الذي " لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " " الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ".

ثانياً: بعض الآيات القرآنية التي وردت في وجوب تحكيم شرع الله تعالى والانقياد له:

1- قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ {23} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ {24} " ( آل عمران 23 – 24 ).

2- قال تعالى: " فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً {65}‏ " ( النساء 65 ).

3- قال تعالى: "....... فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ {44} " ( المائدة 44 ).

4- قال تعالى: " وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {45}‏ " ( المائدة 45 ).

5- قال تعالى: " وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {47} " ( المائدة 47 ).

6- قال تعالى: " قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ {57} " ( الأنعام 57 ).

7- قال تعالى: " ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ {62} " (الأنعام 62).

8- قال تعالى: " وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ {109}‏ " (يونس 109)

9- قال تعالى: "..... إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ {40} " ( يوسف 40 ).

10- قال تعالى: " وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {70}‏ " ( القصص 70 ).

11- قال تعالى: " وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {88}‏ " ( القصص 88 ).

12- قال تعالى: " ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ {12} " ( غافر 12 ).

- لقد استنكر الله تعالى على الأمم السابقة إعراضهم عن كتاب ربهم والأخذ بتشريعات من عند أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان. ولذلك غلظ الله تعالى العقوبة لمن لا يحكِّم شرع الله في كل أموره طاعة وانقياداً وتسليماً وذلك لأن الله تعالى هو خالق الخلق وهو وحده الأعلم بما يصلح أحوالهم فالأمر أمره والحكم حكمه والمنقلب إليه وحده.

ثالثاً: بعض الأحاديث النبوية التي تحث على وجوب تحكيم شرع الله تعالى والانقياد له

1- عن جد عمرو بن شعيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كفُّوا السِّلاحَ إلَّا خُزاعةَ عن بَني بَكْرٍ فأذنَ لَهُم حتَّى صلَّوا العصرَ، ثمَّ قالَ: كفُّوا السِّلاح فلقيَ منَ الغدِ رجلٌ مِن خزاعةَ رجلًا من بَني بَكْرٍ بالمزدَلفةِ فقتلَهُ فبلغَ ذلِكَ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقامَ خطيبًا فقالَ إنَّ أعدى النَّاسِ على اللَّهِ من عدا في الحرمِ ومن قتلَ غيرَ قاتلِهِ ومن قتلَ بذحولِ الجاهليَّة فقالَ رجلٌ يا رسولَ اللَّهِ إنَّ ابني فلانًا عاهَرتُ بأمِّهِ في الجاهليَّةِ فقالَ لا دِعوةَ في الإسلامِ ذَهَبَ أمرُ الجاهليَّةِ الولَدُ للفراشِ وللعاهِرِ الأثلَبُ قيلَ يا رسولَ اللَّهِ وما الأثلَبُ قالَ الحجرُ وفي الأصابعِ عشرٌ عشرٌ وفي المواضحِ خَمسٌ خمسٌ ولا صلاةَ بعدَ الصُّبحِ حتَّى تُشرقَ الشَّمسُ ولا صلاةَ بعدَ العصرِ حتَّى تَغربَ الشَّمسُ ولا تُنكَحُ المرأةُ على عمَّتِها ولا على خالتِها ولا يَجوزُ لامرأةٍ عطيَّةٌ إلَّا بإذنِ زوجِها وأَوفوا بحِلفِ الجاهليَّةِ فإنَّ الإسلامَ لم يَزِدْهُ إلَّا شدَّةً ولا تُحدِثوا حِلفًا في الإسلامِ " ( رواه أحمد ).

\* ذحول: الذَّحْلُ: الثأر – العداوة.

\* المواضح: جمع موضِحة. المُوضِحَةُ: الشَّجَّةُ تُبدِي وَضَحَ العِظام، وهي التي تقشر الجلدةَ التي بين اللَّحم والعظم.

2- عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قلت يا رسولَ اللهِ ! أشياءٌ كنتُ أفعلُها في الجاهليةِ. ( قال هشامٌ: يعني أتبرَّرُ بها ) فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم أسلمتَ على ما أسلفتَ لك من الخيرِ قلتُ: فواللهِ ! لا أدعُ شيئًا صنعتُه في الجاهليةِ إلا فعلتُ في الإسلامِ مثلُه. وفي روايةٍ: أنَّ حكيمَ بنَ حزامٍ أعتقَ في الجاهليةِ مائةَ رقبةٍ. وحمل على مائةِ بعيرٍ. ثمَّ أعتق في الإسلامِ مائةَ رقبةٍ. وحملَ على مائةِ بعيرٍ. ثمَّ أتَى النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلم فذكر نحوَ حديثِهم " ( رواه مسلم ).

3- عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أبغض الناس إلى الله ثلاثة مُلحِد في الحرم ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه " (رواه البخاري)

4- عن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه أنه شَهِدَ حَجَّةَ الوَدَاعِ مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عليه وذَكَّرَ ووَعَظَ ثم قال أَيُّ يومٍ أَحْرَمُ، أَيُّ يومٍ أَحْرَمُ، أَيُّ يومٍ أَحْرَمُ؟ قال: فقال الناسُ: يومُ الحَجِّ الْأَكْبَرِ يا رسولَ اللهِ. قال: فإنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحُرْمَةِ يومِكم هذا، في بَلَدِكم هذا، في شَهْرِكم هذا، أَلَا لا يَجْنِي جانٍ إلا على نفسِه، ولا يَجْنِي والِدٌ على وَلَدِهِ، ولا وَلَدٌ على والِدِهِ، أَلَا إنَّ المسلمَ أَخُو المسلمِ، فليس يَحِلُّ لمسلمٍ من أَخِيهِ شيءٌ إلا ما أَحَلَّ من نَفْسِهِ، أَلَا وإنَّ كلَّ رِبًا في الجاهِلِيَّةِ موضوعٌ، لكم رؤوسُ أموالِكم لا تَظْلِمُونَ ولا تُظْلَمُونَ غَيْرَ رِبَا العباسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فإنه موضوعٌ كُلُّهُ، أَلَا وإنَّ كلَّ دَمٍ كان في الجاهِلِيَّةِ موضوعٌ، وأَوَّلُ دمٍ أَضَعُ من دَمِ الجاهِلِيَّةِ دمُ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، كان مُسْتَرْضِعًا في بَنِي لَيْثٍ فقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ. أَلَا واسْتَوْصُوا بالنساءِ خيرًا، فإنما هُنَّ عَوَانٌ عندَكم، ليس تَمْلِكُونَ منهن شيئًا غيرَ ذلك إِلَّا أن يَأْتِينَ بفاحشةٍ مُبَيِّنَةٍ، فإنْ فَعَلْنَ فاهْجُرُوهُنَّ في المَضَاجِعِ واضْرِبُوهُنَّ ضربًا غيرَ مُبَرِّحٍ، فإنْ أَطَعْنَكُم فلا تَبْغُوا عليهِنَّ سبيلًا. أَلَا وإنَّ لكم على نسائِكم حَقًّا، ولنسائِكم عليكم حَقًّا، فأما حَقُّكُم على نسائِكم فلا يُوطِئْنَ فُرُشَكم مَن تَكْرَهُونَ، ولا يَأْذَنَّ في بيوتِكم لِمَن تَكْرَهُونَ. أَلَا وإنَّ حَقَّهُنَّ عليكم أن تُحْسِنُوا إليهِنَّ في كِسْوَتِهِنَّ وطعامِهِنَّ " ( رواه الترمذي ).

5- عن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: " دخل أبو بكرٍ علَى امْرأةٍ مِن أحْمَسَ يُقالُ لها زَينَبُ، فرآه لا تكلمُ، فقال: ما لها لا تكلمُ؟ قالوا: حَجت مُصْمتَةً، قال لها: تكلَّمي، فإنَّ هذا لا يَحِلُّ، هذا مِن عمَلِ الجاهِليَّةِ، فتكَلَّمَت، فقالتْ: مَن أنتَ؟ قال: امْرُؤٌ مِن المُهاجِرينَ، قالتْ: أيُّ المُهاجِرينَ؟ قال: مِن قُرَيْشٍ، قالتْ: مِن أيِّ قُرَيْشٍ أنتَ؟ قال: إنَّكِ لسَئُولٌ، أنا أبو بكرٍ، قالتْ: ما بَقَاؤُنا علَى هذا الأمْرِ الصَّالِحِ الَّذي جاء اللَّهُ بهِ بعدَ الجاهِليَّةِ؟ قال: بَقاؤُكُم عليه ما اسْتَقامَتْ بِكم أئِمَّتُكم، قالتْ: وما الأئِمَّةُ؟ قال:أمَا كان لِقَوْمِكِ رُءوسٌ وأشْرافٌ، يأمُرونَهُم فَيُطيعونَهم؟ قالتْ: بلى، قال: فهُمْ أولئكِ على الناسِ " ( رواه البخاري ).

6- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: " انطلق بي أبي يحملُني إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال: يا رسولَ اللهِ ! اشهَدْ أني قد نحلتُ النُّعمانَ كذا وكذا من مالي. فقال: ( أَكُلَّ بنيك قد نحلْتَ مثلَ ما نحلتَ النعمانَ؟ ) قال: لا. قال: ( فأَشهِدْ على هذا غيري ). ثم قال: ( أيسُرُّك أن يكونوا إليك في البِرِّ سواءٌ؟ ) قال: بلى. قال ( فلا، إذًا )( رواه مسلم ).

\* قوله صلى الله عليه وسلم: ( فأشهد على هذا غيري ) ليس إذناً في الشهادة وإنما هو زجر عنها ; لأنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الشهادة فيه.

7- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: " سألَت أمِّي أبي بعضَ المَوهبةِ فوَهَبَها لي، فقالت: لا أرضَى حتَّى أُشْهِدَ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، قالَ: فأخذَ أبي بيدي وأنا غلامٌ، فأتَى رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ أمَّ هذا ابنةَ رَواحةَ طلبَت منِّي بعضَ المَوهبةِ، وقد أعجبَها أن أُشْهِدَكَ علَى ذلِكَ، قالَ: يا بشيرُ، ألَكَ ابنٌ غَيرُ هذا؟ قالَ: نعم، قالَ: فوَهَبتَ لَهُ مثلَ ما وَهَبتَ لِهَذا؟ قالَ: لا، قالَ: فلا تُشهِدْني إذًا، فإنِّي لا أشهدُ علَى جَورٍ " ( رواه النسائي ).

8- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمسٌ؟ وأعوذ باللهِ أن تكون فيكم أو تُدرِكوها: ما ظهرتِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ يعملُ بها فيهم علانيةً ؛ إلا ظهر فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن في أسلافِهم، وما منع قومٌ الزكاةَ ؛ إلا مُنِعوا القطرَ من السماءِ ولولا البهائمُ لم يُمطَروا، وما بخَس قومٌ المكيالَ والميزانَ ؛ إلا أُخِذوا بالسِّنينَ وشِدَّةِ المؤْنةِ وجَوْرِ السُّلطانِ، ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل اللهُ ؛ إلا سلَّطَ اللهُ عليهم عدوَّهم فاستنقَذوا بعضَ ما في أيديهم، وما عطَّلوا كتابَ اللهِ وسنَّةَ نبيِّه ؛ إلا جعل اللهُ بأسَهم بينهم " ( قال الألباني: صحيح لغيره ).

- من هذه الأحاديث نرى أن الإسلام قد جاء فأقر ما يتوافق معه من مكارم الأخلاق وجميل الصفات وأبطل أخلاق الجاهلية وتصرفاتها التي تتنافى مع ما جاء به. وذلك لكي يكون الجميع على بيِّنة من أمرهم ويكون شرع الله تعالى واضحاً جلياً وضوح الشمس في كبد السماء فلا لبس ولا غموض ولا تناقض ولا تضاد بل شريعة سمْحة غرَّاء تنسجم معها الفطرة السوية وتنقاد لها راغبة فرحة بطاعة ربها وتحصيل ثوابه.

- وختاماً: لقد جربت البشرية ما سنته لنفسها من تشريعات وقوانين فما جنت إلا الشقاء والعشوائية والتخبط. توفرت الاحتياجات المادية ونضبت الاحتياجات الروحية فأصبح الإنسان هائماً على وجهه يلهث باحثاً عن سعادته في كل مكان وبكل وسيلة وبأي ثمن فما يزيده ذلك إلا شقاءً على شقائه وعناءً على عنائه.

إن الأمم التي أنكرت الإسلام وعابت ما جاء به من أحكام لا تجد بُد من أن تعود إلى أحكامه صاغرة بعد أن فشلت كل محاولاتهم للوصول إلى حل لبعض المشكلات. ويكفينا في ذلك أن نستشهد بمشهد واحد لندلل على عظمة الإسلام وعظمة ما جاء به من أحكام وحدود لحل المشكلات.

نشرت صحيفة (ديلي ميل) البريطانية الشهيرة مقالاً بتاريخ ‏‏(7/1/2013) حول أسلوب جديد لعلاج الإدمان على الجنس والإدمان على المخدرات أو الخمور.. وذلك ‏من خلال جلد أو ضرب المُدمن عدداً من المرات على ظهره، مما يساهم بشكل فعال في التخلص من ‏الإدمان وبتكلفة 60 دولار أمريكي لجلسة الجلد الواحدة.‏

ويعترفDr. Sergei Speransky ‏ مدير الدراسات الحيوية في معهدNovosibirsk ‎Institute of Medicine‏ بأن أسلوب الضرب بالقصب أو الخيزران على الظهر فعال في علاج نوبات ‏الاكتئاب والإحساس بالذنب.‏ حيث أن عملية الجلد أو الضرب تحفر مناطق خاصة في الدماغ لدى مُدمن المخدرات مثلاً وتحدث عمليات معقدة ‏تؤدي للتخلص من الإدمان بسهولة.‏

الغريب في الأمر هو تقبل الغرب لطريقة العلاج هذه وتعامله معها على أنها سبق علمي حديث بالرغم من وجوها في الإسلام في قوله تعالى: " الزَّانِيَةُ ‏وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ " (النور 2). وبالرغم أنهم قد عابوا الحدود التي جاء بها الإسلام واعتبروها عنفاً ضد الإنسانية.

إن التحاكم إلى الإسلام في حد واحد من حدوده وهو ( الجلد ) سوف ينقذ الملايين من الموت بسبب الأمراض الجنسية المعدية، وبسبب الأمراض الناتجة عن تناول الخمور والمخدرات وسوف يوفر ‏المليارات التي تنفق على علاج هذه الأمراض وسوف ينقذ ملايين الأسر من التفكك الأسري والعنف ‏المنزلي ومشاكل أخرى قد تؤدي أحياناً للانتحار.

فإذا كان الأمر كذلك فلا يسعنا إلا أن نقول خلوا بين الخلق وبين شرع خالقهم فهو دين ودنيا، سعادة والتزام، عدل ورحمة، حرية ومُساواة، كرامة وعِزة. " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ {14} " (الملك 14)

اللهم حكم فينا كتابك وسنة رسولك.

اللهم ائذن لشرعك أن يسود واجعلنا لدينك جند مخلصين.

اللهم رد الأمة إلى شرعك رداً جميلاً.

اللهم خذ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

## الخلق الثالث: تبرج الجاهلية

- قال تعالى: " وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً {33} " ( الأحزاب 33 ).

بهذه الآية الكريمة وبهذا الأمر الرباني نجد أن الإسلام ما جاء إلا لانتشال البشرية من جهالة جهلاء إلى شريعة رب السماء. جاء الإسلام ليجتث الشجرة الخبيثة التي نمت وترعرعت في النفوس ويغرس مكانها شجرة من الفضائل ومكارم الأخلاق تسر الناظرين. عن أبي هريرة ري الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ وفي روايةٍ ( صالحَ ) الأخلاقِ " ( صححه الألباني ).

إن في هذه الآية الكريمة أمر خاص من الله تعالى لأمهات المؤمنين - ولسائر نساء المؤمنين - بالتزام الحشمة والوقار والاستقرار فما خلقت المرأة للتبرج والسفور ولا للتجوال والترحال ومزاحمة الرجال وإنما خلقت لرسالة أسمى من ذلك ألا وهي أن تكون السكن والمودة والرحمة والمُربية للنشء على أفضل الخلال.

- ذكر الثعلبي وغيره: أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا قرأت هذه الآية تبكي حتى تبل خمارها. وذكر أن سودة رضي الله عنها قيل لها: لم لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله أن أقر في بيتي. قال الراوي: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها.

- قال العينِيُّ في ( عمدة القاري شرح صحيح البخاري): "ولا خلاف أن غيرَهُنَّ - أمهاتِ المؤمنين - يجوزُ لهن أن يخرجْنَ لِمَا يحتجْنَ إليه من أمورهِنَّ الجائزة؛ بشرط أن يَكُنَّ بَذَّةَ الهيئة، خَشِنةَ الملبَس، تَفِلَةَ الرِّيحِ، مستورةَ الأعضاء، غيرَ متبرِّجاتٍ بزينةٍ، ولا رافعةٍ صوتَها ".

- وقال الإمام ابن القَيِّم في ( الطُّرق الحكمية ): "ويَجِب عليه منْعُ النساءِ من الخروجِ متزيِّناتٍ متجمِّلاتٍ، ومنعهُنَّ من الثياب التي يَكُنَّ بها كاسياتٍ عارياتٍ؛ كالثِّياب الواسعة، والرِّقاق، ومنعهُن من حديث الرجال في الطُّرقات، ومَنْعُ الرجال من ذلك ".

- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: " كنتُ أدخلُ البيتَ الَّذي دفنَ معَهما عمرُ واللَّهِ ما دخلتُ إلَّا وأنا مشدودٌ عليَّ ثيابي حياءً من عمرَ رضيَ اللَّهُ عنْهُ " ( صححه الألباني ).

لو دققنا النظر في الأمر الإلهي بتحريم التبرج نجد أن الله تعالى قد سماه " تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ " وهو كل ما من شأنه أن يحط من أخلاق ومكانة المرأة في أي زمان وبأي وسيلة من شأنها جعل المرأة وكأنها سِلعة يقوم صاحبها بتجميلها لإغواء وإغراء طلابها وراغبيها ومشتريها. فالأخلاق لا تتجزأ والفضائل لا تقبل إلا كاملة كمال البدر في ليلة التمام وذلك لأن ما حُرِّم كثيره فقليله حرام.

أولاً: تعريف التبرج: جاء في ( معجم المعاني الجامع ): تبرَّجتِ المرأةُ: تبهرج، تَزَيَّنَتْ وَأَظْهَرَتْ مَحَاسِنَهَا وَحُلِيَّهَا لغير زوجها.

- وجاء في ( معجم لغة الفقهاء ) للرواس رحمه الله: التبرج أن تبدي المرأة محاسنها، وما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة الرجل ".

- قال الشيخ أبو الأعلى المودودي - رحمه الله - في تفسير آيات الحجاب: أما التبرج فمعناه لغةً: الظهور والبروز والارتفاع، ولذا تستعمل كلمة "برج" لكل شيء ظاهر مرتفع، ومن هنا يقال للبرج برج لارتفاعه وظهوره، ويقال للسفينة الشراعية بارجة لبروز شراعها من بعيد.

- وقال مقاتل: " هو أن تُلقي المرأة خمارها على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها، وقرطها، وعنقها ".

- وقال مجاهد‏:‏ كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال‏.‏ فذلك تبرج الجاهلية‏!‏

- وقال قتادة‏:‏ وكانت لهن مشية تكسر وتغنج‏.‏ فنهى الله تعالى عن ذلك‏!‏

- وقال ابن كثير في تفسيره ‏:‏ كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مُسفحة بصدرها لا يواريه شيء؛ وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها‏.‏ فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن ‏.‏

- جاء في مصنف بن أبي شيبة، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الزينة زينتان: زينة ظاهرة، وزينة باطنة لا يراها إلا الزوج، فأما الزينة الظاهرة: فالثياب، وأما الزينة الباطنة: فالكحل والسوار والخاتم.

- جاء في التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي رحمه الله: ".... فإن قيل فلم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج، قلنا لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه ".

- قال الشيخ الألباني - رحمه الله- في كتاب ( جلباب المرأة المسلمة ): لقد بالغ الإسلام في التحذير من التبرج إلى درجة أنه قرنه بالشرك والزنى والسرقة وغيرها من المحرمات.

- ثانياً: ما ورد في تبرج الجاهلية الأولى: اختلف العلماء في شأن تحديد الفترة التي يمكن أن يطلق عليها الجاهلية الأولى. فلقد اختلف حال المرأة في الأمم والحضارات والأديان قبل الإسلام فأحياناً نراها ملكة مُتوجة مَصونة ومُهابة الجناب، وأحياناً كثيرة نراها وضيعة مُحتقرة مهضومة الحقوق لا قدر لها ولا وزن بل هي ومتاع البيت وأساسه ودوابه سواء بسواء.

- جاء في تفسير القرطبي رحمه الله: قال أبو العباس المبرد: والجاهلية الأولى كما تقول الجاهلية الجهلاء، قال: وكان النساء في الجاهلية الجهلاء يظهرن ما يقبح إظهاره، حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها، فينفرد خلها بما فوق الإزار إلى الأعلى، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى الأسفل، وربما سأل أحدهما صاحبه البدل.

- وجاء أيضاً: قال ابن عطية: والذي يظهر عندي أنه أشار للجاهلية التي لحقنها، فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها، وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة، لأنهم كانوا لا غيرة عندهم وكان أمر النساء دون حجاب، وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه، وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى وقد أوقع اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام، فقالوا: جاهلي في الشعراء وقال ابن عباس في البخاري: سمعت أبي في الجاهلية يقول ؛ إلى غير هذا.

- جاء في تفسير " في ظلال القرآن " للأستاذ سيد قطب رحمه الله: " والجاهلية ليست فترة مُعينة من الزمان‏.‏ إنما هي حالة اجتماعية مُعينة، ذات تصورات مُعينة للحياة‏.‏ ويمكن أن توجد هذه الحالة، وأن يوجد هذا التصور في أي زمان وفي أي مكان، فيكون دليلاً على الجاهلية حيث كان‏!‏ ".

- وجاء أيضاً: "....‏ فالذوق الإنساني الذي يعجب بمفاتن الجسد العاري ذوق بدائي غليظ‏.‏ وهو من غير شك أحط من الذوق الذي يُعجب بجمال الحِشمة الهادئ، وما يشي به من جمال الروح، وجمال العفة، وجمال المشاعر " ‏أهـ.‏

ومن هنا نرى أن الإسلام إنما جاء لينتشل المرأة من هذا المستنقع الآسن ويُعلي من قدرها ومكانتها من الثرى إلى الثريا. فجعل منها أماً حنونة، وأختاً عطوفة، وزوجة مُكرمة، وبنتاً رءوم، وسيدة مُبجلة.

ثالثاً: بعض الآيات التي وردت في القرآن الكريم آمرة بالستر والعفاف ومحذرة من الفحش والتبرج:

1- قال تعالى: " قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ {30} " ( النور 30 ).

2- قال تعالى: " وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {31}‏ " ( النور 31 ).

3- قال تعالى: " وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {60} " ( النور 60 ).

4- قال تعالى: " وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ..... " ( الأحزاب من الآية 53 ).

5- قال تعالى: " يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ {19} " ( غافر 19 ).

رابعاً: السنة النبوية ومحافظتها على المرأة وسد الذرائع أمام التبرج ودواعيه: لخطورة آفة التبرج على المجتمعات بصفة عامة وعلى المجتمع الإسلامي بصفة خاصة نجد أن الشرع قد سد كل الذرائع التي تسهل هذه الآفة أو تجعل الناس يتساهلون فيها بداية من الأمر بغض البصر والنهي عن الخلوة بالأجنبية مروراً بالنهي عن مصافحة النساء ثم انتهاءً بالنهي عن التشبه بالرجال وعدم السماح للمرأة بأن تسافر وحدها دون محرم وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة.

1- عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما تَركتُ بَعدي فِتنَةً أضرَّ على الرجالِ منَ النساءِ " ( رواه البخاري ).

2- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المرأةُ عورةٌ، وإنها إذا خرجت من بيتِها استشرفها الشيطانُ، وإنها لا تكون أقربَ إلى اللهِ منها في قَعْرِ بيتِها " (صححه الألباني).

3- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رضى الله عنه أن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ. وإن اللهَ مستخلفُكم فيها. فينظرُ كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساءَ. فإن أولَ فتنةِ بني إسرائيلَ كانت في النساءِ. وفي حديثِ بشارٍ: لينظرْ كيف تعملون " ( رواه مسلم ).

4- عن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ عبدالله بن قيس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أيما امرأةٍ استعَطرَتْ، فمرَّتْ على قوم لِيَجدوا رِيحَها فهي زانيةٌ، وكلُّ عينٍ زانيةٌ " ( صححه الألباني ).

5- عن أبي عمرو بن حماس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ليس للنساءِ وسَطُ الطريقِ " ( حسنه الألباني ).

6- عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضى الله عنه، قَالَ: " سألتُ رسولَ اللَّهِ عن نظَرِ الفُجاءةِ فقال اصرِفْ بصرَكَ يَعني: لا تُعاوِدِ النَّظرَ مرَّةً ثانيةً " ( صححه الألباني ).

7- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ياعلي إن لك كنزا من الجنة وإنك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة " ( رواه أحمد ).

8- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍرضى الله عنه أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إيَّاكُمْ والدخولَ على النساءِ. فقالَ رجلٌ منَ الأنصارِ: يا رسولَ اللهِ، أفرأيتَ الْحَمُو؟ قالَ: الْحَمُو الموتُ " ( رواه البخاري ).

9- عن أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها أنَّها كانتْ عند رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ومَيْمُونةُ، قالَتْ: فبَيْنا نحن عندهُ أقْبلَ ابْنُ أمِّ مَكتومٍ فدَخَلَ عليه وذلكَ بعدَ ما أُمِرْنا بِالحجابِ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ احْتَجَبا مِنهُ فقُلتُ يا رسولَ اللهِ ألَيْسَ هو أعْمَى لا يُبصِرُنا ولا يَعرِفُنا فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أفَعَمْيَاوَانِ أنتُما ألَستُما تُبْصِرانِه " ( رواه الترمذي ).

10- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما أن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا معَ ذِي مَحرمٍ. فقامَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، امرأتِي خرجتْ حاجَّةً، واكْتُتِبْتُ في غزوةِ كذا وكذا، قالَ: ارْجِعْ، فحُجَّ معَ امرأتِكَ " ( رواه البخاري ).

11- عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم قَالَ: " أوصيكُم بأصحابي، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم ثمَّ يفشو الكذبُ حتَّى يحلِفَ الرَّجلُ ولا يُستَحلَفُ ويشهدَ الشَّاهدُ ولا يُستَشهَدُ ألا لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا كانَ ثالثَهما الشَّيطانُ علَيكُم بالجماعةِ وإيَّاكم والفُرقةَ فإنَّ الشَّيطانَ معَ الواحدِ وَهوَ منَ الاثنَينِ أبعدُ مَن أرادَ بَحبوحةَ الجنَّةِ فلْيلزَمُ الجماعةَ. مَن سرَّتهُ حسنتُهُ وساءتْهُ سَيِّئتُهُ فذلِكم المؤمنُ " ( رواه الترمذي ).

12- عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍرضى الله عنهأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لَأَنْ يُطعَنَ في رأسِ أحَدِكُمْ بِمَخْيَطٍ من حَدِيدٍ خَيرٌ له من أنْ يَمسَّ امْرأةً لا تَحِلُّ لَهُ " ( صححه الألباني ).

13- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " لا يحلُّ لإمرأةٍ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، تسافرُ مسيرةَ يومٍ وليلةٍ، إلا مع ذي محرمٍ عليها " ( رواه مسلم ).

14- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أيُّما امرأةٍ وضعَتْ ثيابَها، في غيرِ بيتِ زوْجِها فقَدْ هتَكَتْ سِتْرَ ما بينها وبينَ اللهِ عزَّ وجلَّ " ( صححه الألباني ).

15- عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لعنَ المتشبِّهينَ منَ الرِّجالِ بالنِّساءِ، ولعنَ المتشبِّهاتِ منَ النِّساءِ بالرِّجال ( رواه بن ماجه ).

16- عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لعن اللهُ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرجالِ، والْمُتَرَجِّلاتِ منَ النساءِ " ( صححه الألباني ).

- خامساً: بعض الأحاديث النبوية التي وردت في النهي عن التبرج:

1- عن جد عمرو بن شعيب رضي الله عنهما قال: " جاءت أُمَيْمةُ بنتُ رُقَيْقةَ، إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ تبايعُهُ على الإسلامِ، فقالَ: أبايعُكِ على أن لا تُشرِكي باللَّهِ شيئًا، ولا تَسرقي ولا تَزني، ولا تَقتُلي ولدَكِ، ولا تأتي ببُهْتانٍ تَفترينَهُ بينَ يَديكِ ورِجليكِ، ولا تَنوحي، ولا تَبرَّجي تبرُّجَ الجاهليَّةِ الأولى " ( رواه أحمد ).

2- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره عشر خلال تختم الذهب وجر الإزار والصفرة يعني الخلوق وتغيير الشيب قال: جرير إنما يعني بذلك نتفه وعزل الماء عن محله والرقى إلا بالمعوذات وفساد الصبي عند محرمه وعقد التمائم والتبرج بالزينة لغير محلها والضرب بالكعاب " ( رواه أحمد ).

3- عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نَهَى عنِ النَّوْحِ والتّصاويرِ، وجُلودِ السِّباعِ والتبرُّجِ، والغِناءِ والذَّهَبِ، والخَزِّ، والحَريرِ " ( صححه الألباني ).

\* الخز: ثوب يُنسج من الصوف والحرير الخام.

4- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: " استأذن عمرُ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعنده نساءٌ من قريشٍ يكلمْنه ويستكثرْنه، عاليةً أصواتُهن، فلما استأذن عمرُ قُمنَ يبتدرْنَ الحجابَ، فأذن له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يضحكُ، فقال عمرُ: أضحك اللهُ سنَّك رسولَ اللهِ، قال: عجبتُ من هؤلاء اللاتي كنَّ عندي، فلما سمعْنَ صوتَك ابتدرْن الحجابَ. قال عمرُ: فأنت يا رسولَ اللهِ كنتَ أحقَّ أن يهَبنَ، ثم قال: أي عدواتِ أنفسِهنَّ، أتهبنني ولا تهبْنَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؟ قلنَ: نعم، أنت أفظُّ وأغلظُ من رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: والذي نفسي بيدِه، ما لقيك الشيطانُ قطُّ سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجِّك " ( رواه البخاري ).

5- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت أن أزواجَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم كنَّ يَخْرُجْنَ بالليلِ إذا تَبَرَّزْنَ إلى المَناصِعِ، وهو صعيدٌ أَفِيحٌ، فكان عمرُ يقولُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: احجُبْ نساءَك. فلم يَكُنْ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُ، فخَرَجَتْ سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ، زوجُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ليلةً مِن الليالي عِشاءً، وكانت امرأةً طويلةً، فناداها عمرُ: ألا قد عَرَفْناك يا سودةُ، حرصًا على أن يَنْزِلَ الحجابُ، فأنزلَ اللهُ آيةَ الحجابِ " ( رواه البخاري ).

\* المناصع: جمع منصع بوزن مقعد وهي أماكن معروفة من ناحية البقيع، قال الداودي: سميت بذلك لأن الإنسان ينصع فيها أي: يخلص.

\* أفيح: واسع.

6- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان ابنَ عشْرِ سنين، مَقْدَمَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم المدينةَ، فكان أمهاتي يُواظِبْنَنِي على خدمةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فخدَمْتُه عشْرَ سنين، وتُوفِّيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأنا ابنُ عشرين سنةً، فكنت أعلمَ الناسِ بشأنِ الحجابِ حينَ أُنْزِلَ، وكان أولَ ما أُنْزِلَ في مُبْتَنى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بزينبَ بنتِ جَحْشٍ، أصبحَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بها عروسًا، فدعا القومَ فأصابوا مِن طعامٍ، ثم خرجوا وبَقِيَ رَهْطٌ منهم عندَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فأطالوا المُكْثَ، فقام النبيُّ صلى الله عليه وسلم فخَرَجَ، وخرَجْتُ معه لكي يَخرجوا، فمَشَى النبيُّ صلى الله عليه وسلم ومَشَيْتُ، حتى جاء عَتَبَةَ حُجْرَةِ عائشةَ، ثم ظنَّ أنهم خرجوا فرَجَعَ ورجَعْتُ معه، حتى إذا دخَلَ على زينبَ فإذا هم جلوسٌ لم يقوموا، فرَجَعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ورَجَعْتُ معه، حتى إذا بلَغَ عَتَبَةَ حُجْرَةِ عائشةَ وظنَّ أنهم خرجوا فرَجَعَ ورَجَعْتُ معه فإذا هم قد خرجوا، فضَرَبَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بيني وبينَه بالسِّرِّ، وأُنْزِلَ الحجابُ " ( رواه البخاري ).

7- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " أنَا أعلمُ الناسِ بهذهِ الآيةِ آيةِ الحجابِ، لمَّا أُهْدِيَتْ زينبُ بنتُ جحشٍ رضيَ اللهُ عنها إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانتْ معَهَ في البيْتِ، صنَعَ طعامًا ودَعَا القومَ، فقَعَدوا يتحدثُون، فجَعَلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يخرُجُ ثمَّ يرجعُ وهمْ قُعُودٌ يتحدثونَ، فأنْزَلَ اللهُ تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ - إلى قوله - مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ). فضُرِبَ الحجابُ وقامَ القومُ " ( رواه البخاري ).

8- عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " وافقتُ ربي في ثلاثٍ: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، لو اتخذنا من مقامِ إبراهيمَ مُصلَّى، فأُنزِلتْ: وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى. وآيةُ الحجابِ، قلتُ: يا رسولَ اللهِ، لو أمرتَ نساءَك أن يَحتجبن، فإنه يُكلِّمُهُن البرُّ والفاجرُ، فنزلتْ آيةُ الحجابِ، واجتمع نساءُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الغيرةِ عليه، فقلتُ لهن: عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ، فأُنزِلتْ هذه الآيةُ " ( رواه البخاري ).

9- عن بن جريج رضي الله عنه قال أخبرني عطاء - بن أبي رباح - إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال قال كيف يمنعهن وقد طاف نساء النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجال قلت أبعد الحجاب أو قبل قال إي لعمري لقد أدركته بعد الحجاب قلت كيف يخالطن الرجال قال لم يكن يخالطن كانت عائشة رضي الله عنها تطوف حجرة من الرجال لا تخالطهم فقالت امرأة انطلقي نستلم يا أم المؤمنين قالت انطلقي عنك وأبت يخرجن متنكرات بالليل فيطفن مع الرجال ولكنهن كن إذا دخلن البيت قمن حتى يدخلن وأخرج الرجال وكنت آتي عائشة أنا وعبيد بن عمير وهي مجاورة في جوف ثبير قلت وما حجابها قال هي في قبة تركية لها غشاء وما بيننا وبينها غير ذلك ورأيت عليها درعا موردا " ( رواه البخاري ).

\* ثبير: هو جبل عظيم يقع بين مكة وعرفة ‏.

10- عن أبي أذينة الصدفي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خير نسائكم الودود الولود المواتية المواسية إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن منافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم " ( رواه البيهقي وصححه الألباني ).

11- عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثةٌ لا تَسألُ عنهمْ: رجلٌ فارَقَ الجماعةَ وعَصَى إمامَهُ وماتَ عاصِيًا، وأمَةٌ أو عبدٌ آبِقٌ من سَيِّدِهِ فماتَ، وامْرأةٌ غابَ عنْها زوجُها وقدْ كفاها مُؤنةَ الدنيا فتبرَّجَتْ بَعدَهُ ؛ فلا تَسألْ عنْهمْ " ( صححه الألباني ).

12- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي الله صلى الله عليه وسلم قال: " صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا " ( رواه مسلم ).

- بهذه الأحاديث النبوية المطهرة وغيرها نجد أن السنة النبوية قد سدت كل السبل أمام انتشار هذه الآفة لتكون المرأة المسلمة مصونة عزيزة وليست ألعوبة رخيصة لضعاف النفوس ولهواة المتعة الحرام وليكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً نظيفاً طاهراً عفيفاً.

سادساً: مواقف من العِفة والغيرة في المجتمع الإسلامي:

1- عن أم جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا أسماء، إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها. فقالت أسماء: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها، ثم طرحت عليها ثوبا. فقالت فاطمة رضي الله عنها: ما أحسن هذا وأجمله يعرف به الرجل من المرأة، فإذا أنا مت فاغسليني أنت وعلي رضي الله عنه، ولا تدخلي علي أحدا، فلما توفيت رضي الله عنها جاءت عائشة رضي الله عنها تدخل فقالت أسماء: لا تدخلي، فشكت أبا بكر فقالت: إن هذه الخثعمية تحول بيني وبين ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جعلت لها مثل هودج العروس. فجاء أبو بكر رضي الله عنه فوقف على الباب وقال: يا أسماء، ما حملك أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يدخلن على ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وجعلت لها مثل هودج العروس. فقالت: أمرتني أن لا تدخلي علي أحدا وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع ذلك لها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: فاصنعي ما أمرتك، ثم انصرف وغسلها علي وأسماء رضي الله عنهما " ( سنن البيهقي ).

2- جاء في ( روضة المحبين ونزهة المشتاقين ) لـكاتبه محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي قال: " يذكر ابن القيم قصة شبية بقصة نبي الله يوسف -عليه السلام- حصلت لشاب من شباب المسلمين في عهد عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-: عن حصين بن عبدالرحمن قال: بلغني أن فتى من أهل المدينة، كان يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وكان عمر يتفقده إذا غاب، فعشقته امرأة من أهل المدينة، فذكرت ذلك لبعض نسائها، فقالت: أنا أحتال لك في إدخاله عليك، فقعدت له في الطريق فلما مر بها قالت له: إني امرأة كبيرة السن ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها، فلو دخلت فحلبتها لي، وكانوا أرغب شيء في الخير، فدخل فلم ير شاة فقالت: اجلس حتى آتيك بها، فإذا المرأة قد طلعت عليه، فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعد فيه، فأرادته عن نفسه، فأبى، وقال: اتقي الله أيتها المرأة، فجعلت لا تكف عنه، ولا تلتفت إلى قوله، فلما أبى عليها صاحت عليه، فجاءوا فقالت: إن هذا دخل علي يريدني عن نفسي، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه، وأوثقوه، فلما صلى عمر الغداة فقده، فبينا هو كذلك إذ جاءوا به في وثاق، فلما رآه عمر، قال: اللهم لا تخلف ظني به، قال: مالكم؟ قالوا: استغاثت امرأة بالليل فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها، فضربناه وأوثقناه، فقال عمر رضي الله عنه: اصدقني، فأخبره بالقصة على وجهها، فقال له عمر -رضي الله عنه-: أتعرف العجوز؟ فقال: نعم إن رايتها عرفتها، فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهن، فجاء بهن، فعرضهن فلم يعرفها فيهن حتى مرت به العجوز، فقال: هذه يا أمير المؤمنين، فرفع عمر عليها الدرة، وقال: أصدقيني، فقصت عليه القصة كما قصها الفتى، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف ".

3- جاء في كتاب ( تاريخ بغداد ) للخطيب البغدادي رحمه الله: أَخْبَرَنِي محمد بن أحمد بن يعقوب، قَالَ: أَخْبَرَنَا محمد بن نعيم الضبي، قَالَ: سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن موسى القاضي، يقول: حضرت مجلس موسى بن إسحاق القاضي بالري سنة ست وثمانين ومائتين، وتقدمت امرأة، فادعى وليها على زوجها خمس مائة دينار مهرا، فأنكر، فقال القاضي: شهودك؟ قَالَ: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد، وقالوا للمرأة قومي، فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قَالَ الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: فإني أشهد القاضي أن لها علي هذا المهر الذي تدعيه، ولا تسفر عن وجهها، فردت المرأة وأخبرت بما كان من زوجها، فقالت المرأة: فإني أشهد القاضي أني قد وهبت له هذا المهر وأبرأته منه في الدنيا والآخرة، فقال: القاضي يكتب هذا في مكارم الأخلاق.

- سابعاً: الغرب يتجرع مرارة الاختلاط والتبرج وفساد الأخلاق: جاء في كتاب ( الغرب يتراجع عن التعليم المختلط ) تأليف " بفرلي شو " ترجمة " د. وجيه حمد عبد الرحمن " يقول البروفسور الألماني " يودفو ليفيلتز " كبير علماء الجنس في جامعة برلين في إحدى دراساته الجنسية بأنه درس علوم الجنس، وأدوار الجنس، وأدوية الجنس، فلم يجد علاجاً أنجح ولا أنجع من قول الكتاب الذي نزل على محمد ( صلى الله عليه وسلم ): " قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ " و " وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ" ( سورة النور، الآيتان: 30، 31 ).

2- جاء في كتاب ( معاناة المرأة في الغرب ) تقول الصحفية الأمريكية "هيليان ستانبري": " امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا. امنعوا الاختلاط، فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا مقعدًا، مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية يملؤون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية، إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا قد جعلت منهم عصابات أحداث، وعصابات للمخدرات والرقيق. إن الاختلاط والإباحية والحرية في المجتمع الأوربي والأمريكي قد هدد الأسرة، وزلزل القيم والأخلاق ".

3- إن الانحدارُ الأخلاقي في أمريكا جَعَل الرئيس الأمريكي السابق جون كندي يقول: " إنَّ الشباب الأمريكي مائعٌ ومُترَف وغارق في الشهوات، ومن بين كل سبعة شباب يَتَقَدَّمُون للتجنيد منهم ستةٌ غير صالحين؛ وذلك لأننا سَعَيْنا لإباحة الاختلاط بين الجنسين في الجامعة بصوَر مستهترة؛ مما أدَّى إلى انهماكهم في الشهوات ".

- وختاماً: إن وجود بل انتشار ظاهرة التبرج في المجتمع الإسلامي ما كان لها لتنتشر إلا:-

- لضعف الإيمان.

- ولخواء المناهج التربوية من مضمونها الأخلاقي.

- ولغياب القدوات.

- ولعدم قيام المسجد والمؤسسات التربوية بالدور المنوط بهم. إلى غير ذلك من الأسباب.

- وفي المقابل نجد أن هناك ما يغذي هذه الآفة ويعمل على تأجيج نارها وعدم انطفاء جذوتها، مثل:-

- انتشار وسائل الفساد والإفساد في المجتمع المسلم بل وتشجيعها.

- تشجيع الاختلاط والتبرج والسفور والمجون وجعل ذلك من علامات التحضر والتمدن.

- النشاط البارز لدعاة التبرج والسفور والانحلال الأخلاقي لنشر ما يدعون إليه.

ولقد ترتب على ذلك من الجرائم والأمراض الاجتماعية والجسدية ما لم يعرفها المجتمع المسلم من قبل. يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى -: " ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصلُ كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة.. وهو من أسباب الموت العام والطواعين المهلكة. ولما اختلط البغايا بعسكر موسى - عليه السلام - وفشت فيهم الفاحشة؛ أرسل الله تعالى عليهم الطاعون؛ فمات في يوم واحد سبعون ألفًا، والقصة مشهورة في كتب التفسير.

إن دعاة التبرج والسفور والانحلال الأخلاقي يعملون على طمس الهوية الإسلامية وإهدار كرامة المرأة تحت ما يسمونه المساواة والحرية والانفتاح وتحت مسمى التمدن والحضارة ومسميات أخرى ما أنزل الله بها من سلطان. وهم بذلك يجرون المرأة إلى مستنقع الرذيلة وإعادتها إلى سابق عهدها في الجاهلية الأولى.

إن ما يجعل الطمأنينة تستقر في النفس هو أن الله تعالى قد تكفل بتأييد من يدافعون عن حياض هذا الدين ويذبون عنه فلن تفلح كل هذه الحيل والمخططات طالما هناك من يتمسكون بدينهم ويبصرون غيرهم به والله تعالى لهؤلاء بالمرصاد يُبطل تدبيرهم ويجعل كيدهم في نحورهم.

قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {19} " ( النور 19 ).

----------------------------------------

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت،

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

## الخلق الرابع: حمية الجاهلية

- قال تعالى: " إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً {26} " ( الفتح 26 ).

هل تتخيل مردود كلمة الحمية في الذهن؟ إنه بمجرد ذكر هذه الكلمة يتوارد إلى الذهن منظراً كئيباً صاخباً، وضجيجاً وجلبة وغوغائية لا حدود لهم. ولما لا، وإن أحد الطرفين أو كلاهما لا يُعمِل عقلاً، ولا يستند إلى منطق، ولا يمتلك حُجَّة، وإنما كل ما يمتلكه هو الصوت العالي الرنان، واللسان السليط، وعينان جاحظتان، وأوداج منتفخة، وهياج وسُعار لا يقف أمامهم بشر.

وهل تتخيل الحال إذا أضيفت إلى كلمة الـ (حَمِيَّةَ) كلمة (الجَاهِلِيَّة)؟ إنك ستضيف إلى المشهد السابق من العنف والشراسة والقسوة والجحود والنكران ما يجعلك لا تجد بين مفردات لغتك ما يُسعفك لكي تصف هذا المشهد.

وفي المقابل تجد الصف المسلم بعد أن لامس الإيمان شغاف القلب ونياطه تجده يتحلى بالوقار والسكينة والطمأنينة وذلك لأن هذا الإيمان قد ألزمهم ( كَلِمَةَ التَّقْوَى ) التي فسرها المفسرون على أنها:-

- قول: لا إله إلا الله.

- ومنهم من قال أنها: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

- وقال آخرون: هي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

- وبعضهم قال أنها: لا إله إلا الله والله أكبر.

- ومنهم من قال أنها: بسم الله الرحمن الرحيم.

إلى غير ذلك من التفسيرات التي تزيد القلب انشراحاً والنفس سكينة وطمأنينة.

إن ما سبق هو جزء مما تريد الآية الكريمة أن تنقله إلينا لنتخيل الحالة التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وهم يُبرِمُون صُلح الحُديبية مع كفار قريش عام 6 هـ حيث مُنِعوا من الوصول للبيت وحيث اعترض كفار قريش على افتتاح الصلح بـ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) كما اعترضوا على أن يكتب في صدر الصلح ( محمد رسول الله ) وفي كل مرة يستجيب النبي صلى الله عليه وسلم لمطالبهم درءا للفتنة ومنعاً للوقوع في حرب إذا دارت رحاها في ذلك الوقت لا يعلم مداها إلا الله وكذلك ليقدم لنا النبي صلى الله عليه وسلم الخلق الذي يجب أن يتحلى به القائد بصفة خاصة والمسلم بصفة عامة.

- قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، (فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا) على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه " حمية الجاهلية "، التي دخلت قلوبهم.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ قريشًا صالحوا النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ. فيهم سهلُ بنُ عمرو. فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعليٍّ ( اكتب بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ). قال سهيلٌ: أما باسمِ اللهِ، فما ندري ما بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ. ولكن اكتب ما نعرف: باسمكَ اللهمَّ. فقال ( اكتب من محمدٍ رسولِ اللهِ ) قالوا: لو علمنا أنك رسولٌ لاتبعناك. ولكن اكتب اسمكَ واسمَ أبيك. فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ( اكتب من محمدِ بنِ عبدِاللهِ ) فاشترطوا على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّ من جاء منكم لم نردُّه عليكم. ومن جاءكم منا رددتموهُ علينا. فقالوا: يا رسولَ اللهِ ! أنكتب هذا؟ قال ( نعم. إنَّهُ من ذهب منا إليهم، فأبعدَه اللهُ. ومن جاءنا منهم، سيجعلُ اللهُ لهُ فرجًا ومخرجًا ) ( رواه مسلم ).

- جاء في تفسير (الظلال) للأستاذ سيد قطب - رحمه الله - قال: " حمية لا لعقيدة ولا منهج‏.‏ إنما هي حمية الكبر والفخر والبطر والتعنت‏.‏ الحمية التي جعلتهم يقفون في وجه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ومن معه، يمنعونهم من المسجد الحرام، ويحبسون الهدي الذي ساقوه، أن يبلغ محله الذي ينحر فيه‏.‏ مخالفين بذلك عن كل عرف وعن كل عقيدة‏.‏ كي لا تقول العرب، إنه دخلها عليهم عنوة‏.‏ ففي سبيل هذه النعرة الجاهلية يرتكبون هذه الكبيرة الكريهة في كل عرف ودين؛ وينتهكون حرمة البيت الحرام الذي يعيشون على حساب قداسته؛ وينتهكون حرمة الأشهر الحرم التي لم تنتهك في جاهلية ولا إسلام‏!‏ وهي الحمية التي بدت في تجبيههم لكل من أشار عليهم- أول الأمر- بخطة مُسالمة، وعاب عليهم صدّ محمد ومن معه عن بيت الله الحرام‏.‏ وهي كذلك التي تبدت في رد سهيل بن عمرو لاسم الرحمن الرحيم، ولصفة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في أثناء الكتابة‏.‏ وهي كلها تنبع من تلك الجاهلية المتعجرفة المتعنتة بغير حق‏.‏ وقد جعل الله الحمية في نفوسهم على هذا النحو الجاهلي، لما يعلمه في نفوسهم من جفوة عن الحق والخضوع له‏.‏ فأما المؤمنون فحماهم من هذه الحمية‏.‏ وأحل محلها السكينة، والتقوى‏. أهـ

إن كل هذه المشاهد تجعلنا ندرك مدى الجهد والمجاهدة والصبر والمصابرة والمثابرة الذين بذلوا من النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام لكي يصل إلينا الدين صافياً رِقراقاً لا شائبة فيه، ناصعاً واضحاً وضوح الشمس في كبد السماء.

أولاً: تعريف الحمية وأنواعها: جاء في معجم المعاني الجامع: الحَمِيَّة: الأنَفة، إبَاءً. " إذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ ( الفتح 26 ).

- وفيه أيضاً: الحَمِيَّة: المحافظة على المَحْرَم والدِّين من التُهمة.

- جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله: " كان المجتمع العربي في الجاهلية مجتمعاً قبليّاً في البوادي والحواضر تحكمه القوانين والأعراف التي تضمن للقبيلة بقاءها، ولذلك شاعت بينهم العصبية وكانت هذه العصبيَّة على طبقات تناسب الجماعة التي ينتسب إليها أحدهم، فهو في قبيلته يتعصب لأسرته على سائر الأسر، والبطن الذي هو منه على سائر البطون، ويتعصب للقبائل التي يجمعها مع قبيلته أب واحد قريب على القبائل التي يجمعها مع قبيلته أب بعيد، وإلى جانب رابطة الدَّم هذه كانت روابط أخرى كالولاء والجوار والتحالف والمصاهرة، وكلُّها داعيةٌ إلى ضروب من التَّعصب متفاوتة القوة، وتقتضي هذه العصبيَّة أموراً تدلُّ عليها أمثالهم وأشعارهم، ومنها أن يكون همُّ القبيلة والدفاع عنها مقدَّماً على ما سواه من الهموم الخاصَّة، ولاسيَّما إذا كان الرَّجل سيِّداً في قبيلته.

وجاء أيضاً: وتقتضي أن تنصر القبيلةُ أيَّ فرد منها على من سواه، ظالماً كان أو مظلوماً، من دون أن يسـألوا عن الحق إلى أي جانبٍ هو، ولذلك أثنى قريط بن أنيف العنبري على بني مازن لاجتماعهم عند الحفيظة، فقال:

لا يسألون أخاهم حين يندبُهم في النَّائبات على ما قال برهانا

\* الحمية نوعان: النوع الأول هو: الحمية الممقوتة التي لا تقر حقاً ولا تنصف مظلوماً وإنما تنساق خلف عادات وتقاليد بالية ومفاهيم مغلوطة وتهدم قيماً وتنكر معروفاً وتحابي مُنكراً دون روية أو حجة أو منطق أو إعمال عقل. وهذه هي حمية الجاهلية التي كان بسببها تنشب الحروب الضروس مثل ( حرب الفجار – يوم بعاث – داحس والغبراء – حرب البسوس..... الخ ).

- قال ابن القيم رحمه الله: " الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ وتفضيل بعضهم على بعض يدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي فكل هذا من دعوى الجاهلية ".

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو عزاء الجاهلية ".

- النوع الثاني هو: الحمية المحمودة التي تكون بقصد المحافظة على الدِّين والنفس والعِرض من إلصاق التُهمة والنقيصة زوراً وبهتاناً. فعندما قام شاب يهودي بربط طرف ثوب امرأة من نساء الأنصار وهي جالسة حتى إذا وقفت ارتفع ثوبها وانكشف جسدها ثارت حمية المسلمين فكانت غزوة بني قينقاع وما ترتب عليها من جلاء بني قينقاع عن المدينة وتوجههم إلى الشام. عن سعيد بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فهوَ شَهيدٌ. ومَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فهوَ شَهيدٌ. ومَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فهوَ شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ أهلِهِ فهوَ شَهيدٌ " ( رواه الترمذي ).

إن الإسلام إنما جاء ليقضي على حمية الجاهلية وليجعل الناس أما الإسلام وتعاليمه سواسية كأسنان المشط فلا فرق بين قرشي ولا حبشي إلا بالتقوى والعمل الصالح. وأن يجعل المسلم يتوجه بالكلية لله تعالى مخلصاً فلا يغضب لنفسه بل يغضب إذا انتهكت حرمة من حرمات الله عز وجل.

ثانياً: بعض الآيات التي وردت في شأن حمية المشركين وتعصبهم لما وجدوا عليه الآباء والأجداد:

1- قال تعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ {170} " ( البقرة 170 ).

2- قال تعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ {104} " ( المائدة 104 ).

3- قال تعالى: " وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {28} " ( الأعراف 28 ).

4- قال تعالى: " قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ {78}‏ " ( يونس 77 ).

5- قال تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ {51} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ {52} قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ {53} " ( الأنبياء 53 ).

6- قال تعالى: " فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ {24} " ( المؤمنون 24 ).

7- قال تعالى: " فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ {36} " ( القصص 36 ).

8- قال تعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ {21} " ( لقمان 21 ).

9- قال تعالى: " بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ {22}‏ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ {23} " ( الزخرف 22 – 23 ).

ثالثاً: بعض الآيات التي وردت في الأمر بالترابط القوي ونبذ الفرقة وحمية الجاهلية وما يؤدي إليهما:

1- قال تعالى: " وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {103} " ( آل عمران 103 ).

2- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {11}‏ " ( الحجرات 11 ).

3- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {13} " ( الحجرات 13 ).

4- قال تعالى: " وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {11}‏ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ {12} " ( الأعراف 12 ).

5- قال تعالى: " لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {23} " ( الحديد 23 ).

رابعاً: بعض الأحاديث النبوية التي وردت في ذم حمية الجاهلية والتعصب الممقوت:

1- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: " كنا مع النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في غَزاةٍ. فكَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصارِ. فقال الأنصاريُّ: يا للأنصارِ ! وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرينَ ! فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ. " ما بالُ دعوى الجاهليةِ؟ " قالوا: يا رسولَ اللهِ ! كَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصارِ. فقال " دعُوها. فإنها مُنتنةٌ " فسمعها عبدُاللهِ بنُ أُبَيٍّ فقال: قد فعلوها. واللهِ ! لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ. قال عمرُ: دعني أضربُ عنقَ هذا المنافقَ. فقال " دَعْهُ. لا يتحدثُ الناسُ أنَّ محمدًا يقتلُ أصحابَه " ( رواه مسلم ).

2- عن جد عمرو بن شعيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كفُّوا السِّلاحَ إلَّا خُزاعةَ عن بَني بَكْرٍ فأذنَ لَهُم حتَّى صلَّوا العصرَ، ثمَّ قالَ: كفُّوا السِّلاح فلقيَ منَ الغدِ رجلٌ مِن خزاعةَ رجلًا من بَني بَكْرٍ بالمزدَلفةِ فقتلَهُ فبلغَ ذلِكَ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقامَ خطيبًا فقالَ إنَّ أعدى النَّاسِ على اللَّهِ من عدا في الحرمِ ومن قتلَ غيرَ قاتلِهِ ومن قتلَ بذحولِ الجاهليَّة....... " ( رواه أحمد ).

\* بذحولِ: الذَّحْلُ: الثأر.

3- عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أربعٌ في أمَّتي من أمرِ الجاهليَّةِ، لا يتركونهنَّ: الفخرُ في الأحسابِ، والطَّعنُ في الأنسابِ، والاستسقاءُ بالنُّجومِ، والنِّياحةُ. وقال: النَّائحةُ إذا لم تتُبْ قبل موتِها، تُقامُ يومَ القيامةِ وعليها سِربالٌ من قَطِرانٍ، ودِرعٌ من جربٍ " ( رواه مسلم ).

4- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن اللهَ عزَّ وجلَّ قد أَذْهَبَ عنكم عُبِّيَةَ الجاهليةِ، وفخرَها بالآباءِ، مؤمنٌ تقيُّ، وفاجرُ شقيٌّ، أنتم بنو آدمَ، وآدمُ مِن ترابٍ، لَيدَعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوامٍ، إنما هم فَحْمٌ مِن فَحْمِ جهنمَ، أو لَيَكُونَنَّ أهونَ على اللهِ مِن الجُعْلانِ التي تَدْفَعُ بأنفِها النَتْنَ " ( رواه أبو داود وصححه الألباني ).

5- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَن خرج من الطاعةِ، وفارق الجماعةَ، فمات، مات مِيتةً جاهليةً، ومن قاتل تحت رايةٍ عَمِيَّةٍ، يغضبُ لعَصَبِيةٍ، أو يَدْعُو إلى عَصَبِيَّةٍ، أو ينصرُ عَصَبِيَّةً، فقُتِلَ، فقَتْلُه جاهليةٌ، ومَن خرج على أمتي يَضْرِبُ بَرَّها وفاجرَها، ولا يَتَحاشَا من مؤمنِها، ولا يَفِي لِذِي عُهْدَةٍ عَهْدَه، فليس مِنِّي، ولستُ منه " ( صححه الألباني ).

6- عن المعرور بن سويد رضي الله عنه قال: " رأيتُ أبا ذرٍّ وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامه مثلُها. فسألتُه عن ذلك؟ قال: فذكر أنه سابَّ رجلًا على عهد رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فعيَّرَه بأمِّه. قال: فأتى الرجلُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فذكر ذلك له. فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: " إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ. إخوانُكم وخولُكُم. جعلهم اللهُ تحت أيديكم. فمن كان أخوه تحت يدَيه فلْيطعِمْه مما يأكل. وليلبسْه مما يلبس. ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم. فإن كلَّفتموهم فأَعينوهم عليه " ( رواه مسلم ).

\* خولكم: الخَوَلُ: عطيّة الله من النِّعَم والعبيد والإماءِ وغيرهم من الأتباع والحشم.

7- عن عياض بن حمار رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ اللهَ أوحى إليَّ أن تواضَعوا حتى لا يبغيَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ " ( رواه أبو داود وصححه الألباني ).

8- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تعلَّموا من أنسابِكم ما تَصِلون به أرحامَكم ؛ فإنَّ صلَةَ الرَّحِمِ محبَّةٌ في الأهلِ، مَثراةٌ في المالِ، مَنْسَأَةٌ في الأثَرِ " ( صححه الألباني ).

- وختاماً: إن حمية الجاهلية التي نهينا عنها وما يترتب عليها من جور وازدراء وتعال على الآخرين إنما تنشأ من ضعف الإيمان وسوء الفهم لطبيعة رسالة الإسلام فتتقطع الأواصر وتنشأ الخلافات والصراعات والفتن وما يصب ذلك إلا في مصلحة أعداء الأمة ولذلك تراهم بين الحين والآخر يؤججون هذه الحَمِيَّة ويُحيون النعرات الجاهلية فتتصارع الطوائف وتتناحر الدول حتى تخور قواها فتكون بعد ذلك لقمة سائغة لعدو لا يرقب فيهم إلاً ولا ذمة.

--------------------------------------------------------

اللهم احفظنا من شتات الأمر ومس الضر وضيق الصدر وعذاب القبر وحلول الفقر وتقلب الدهر والعسر بعد اليسر.

## الخاتمة

كما ذكرنا في المقدمة أن هذه الأخلاق الأربعة ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ - حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ - تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ - حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ ما اجتمعت في أمة إلا أدَّت إلى ذلها وشتاتها وهلاكها وبقدر وجود الصفة من الصفات الأربع في المجتمع بقدر ذله وشتاته وهلاكه. وإنه لا يكفينا أن نعرف أبواب الخير لنطرقها، ولكن من الواجب أيضاً أن نعرف أبواب الشر لنوصدها فلا توجد تحلية دون تخلية، وسد الذرائع من قواعد الإسلام الأساسية.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: " كان الناسُ يَسأَلونَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عنِ الخيرِ، وكنتُ أسأَلُه عنِ الشرِّ، مَخافَةَ أن يُدرِكَني، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخيرِ، فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ؟ قال: ( نعمْ ). قلتُ: وهل بعدَ ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: ( نعمْ، وفيه دَخَنٌ ). قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: ( قومٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَديِي، تَعرِفُ منهم وتُنكِرُ ). قلتُ: فهل بعدَ ذلك الخيرِ من شرٍّ؟ قال: ( نعمْ، دُعاةٌ على أبوابِ جَهَنَّمَ، مَن أجابهم إليها قَذَفوه فيها ). قلتُ: يا رسولَ اللهِ صِفْهم لنا، قال: ( هم من جِلدَتِنا، ويتكَلَّمونَ بألسِنَتِنا ). قلتُ: فما تأمُرُني إن أدرَكني ذلك؟ قال: ( تَلزَمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم ). قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: ( فاعتَزِلْ تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ، حتى يُدرِكَك الموتُ وأنت على ذلك ) ( رواه البخاري ).

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت،

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمد عبدالرحمن صادق

**المحتويات**

[المقدمة 1](#_Toc477781982)

[الإهداء 2](#_Toc477781983)

[الخلق الأول: ظن الجاهلية 3](#_Toc477781984)

[الخلق الثاني: حُكم الجاهلية 13](#_Toc477781985)

[الخلق الثالث: تبرج الجاهلية 23](#_Toc477781986)

[الخلق الرابع: حمية الجاهلية 35](#_Toc477781987)

[الخاتمة 43](#_Toc477781988)